

# سَيِّدِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير

تحرير  
بلال محمد شالش



## **الفصل التاسع**

**مع القسم من السجن نواصل**



## مع القسام من السجن نواصل

إن ظروف العمل العسكري، بالنجاحات والإخفاقات... كان للسجون حضور في صياغتها، فقد عمل المجاهدون من داخل السجون على تفعيل العمل العسكري. ومعظم من لهم بصمات على العمل الجهادي هم خريجو مدرسة السجن، فالمجاهدون علي إعلان<sup>1</sup>، وأيمن حلاوة<sup>2</sup>، ومحبي الدين الشريف، وأمثالهم كثر، دخلوا السجن لفترات قصيرة، فكان عطائهم بلا حدود. ومعظم من دخلوا السجون أخذوا على عاتقهم مواصلة الطريق مهما كانت التضحيات... وما السجن إلا محطة للزاد في هذا الصراع.

وكان لنا تواصل مع الداخل والخارج، فالشهيد أبو الفداء كان تواصله مفتوحاً مع المتفرغين لهذا العمل، مع زهير فرّاح، وعبد المنعم أبو حميد، ومحبي الدين الشريف، وكذلك الإخوة في مجموعة صوريّف، التي سلمها الأمن الوقائي الفلسطيني للاحتلال سنة 1996، وهم جنرالات في الحرب، منهم: عبد الرحمن غنيمات<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> علي موسى إعلان (1975-2003): ولد في مخيم عابدة - بيت لحم لأسرة هجرت من قرية المالحه سنة 1948. متزوج وله طفل. اعتقل في سجون الاحتلال سنة 1994، واعتقل في سجون السلطة بعد إصابته في تفجير استهدفه والشهيد أيمن حلاوة، وخرج بعد الاجتياح الصهيوني لمدينة نابلس سنة 2002. أسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام في الجنوب بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، نجا من عدة محاولات اغتيال. أسهم في إخراج عدد من العمليات ضد الاحتلال الصهيوني خرجت من منطقة نابلس والخليل. استشهد في اشتباك مسلح في 2003/3/18 بعد محاصرته في قرية مراح رباح بالقرب من بيت لحم.

<sup>2</sup> أيمن عدنان حلاوة (1974-2001): ولد الشهيد سنة 1974 في نابلس، ودرس الهندسة الكهربائية في جامعة بيرزيت. اعتقلته السلطة الفلسطينية سنة 1998 لمسؤوليته عن إدارة مصنع متفجرات ضخم في نابلس. لقب بالمهندس الثالث في كتائب القسام، وكان له دور بارز في إعادة بناء خلايا القسام في الضفة بعد انطلاق انتفاضة الأقصى وفي عدد من عملياتها. درب عدداً من مهندسي القسام أبرزهم الأسير عبد الله البرغوثي. اغتيل يوم 2001/10/22 في تفجير سيارة مفخخة استهدفته والشهيد علي إعلان.

<sup>3</sup> عبد الرحمن إسماعيل غنيمات (1972-): ولد في قرية صوريّف قضاء الخليل، أسس وجمال الهور وأيمن قفيشة خلية قسامية خلال وجودهم في سجن الظاهرية. بعد خروجهم من السجن وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1995 بدأت الخلية عملياتها والتي استمرت إلى آذار/ مارس 1997 عندما استشهد موسى غنيمات أحد أعضاء الخلية، حيث لاحق الصهاينة بالتعاون مع أجهزة السلطة الفلسطينية الخلية، بعد أن تمكنت من قتل ثمانية صهاينة واختطاف جندي صهيوني في 1996/9/9 وإخفائه، إلى أن اكتشفت السلطة الفلسطينية أمره في نيسان/ أبريل 1997 وسلمته للاحتلال بدون ثمن، وأتبعته بتسليم غنيمات والهور إلى الاحتلال ليحكم عليه بالسجن خمسة مؤبدات وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

أيمن محمد قفيشة (1970-): ولد في مدينة الخليل، متزوج وأب لطفلة. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني وأسهم في تأسيس خلية صوريّف مع إخوانه عبد الرحمن غنيمات وجمال الهور في أثناء وجودهم في سجن الظاهرية. شارك في عدد من عمليات الخلية، واعتقل يوم 1997/4/5. حكم بالسجن 35 عاماً. ألف عدداً من الكتب في أثناء وجوده في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة. انظر: أيمن قفيشة، الإعداد القيادي بين سورتي يوسف والقصاص للأسير أيمن قفيشة (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2011).

وجمال الهور<sup>4</sup>، ورائد أبو حمدية<sup>5</sup>، وإبراهيم غنيمات (أبو فادي)<sup>6</sup>. ولقد كانت هذه المجموعة تصول وتجول داخل الأرض المحتلة، وتأسر جنوداً وتقتل آخرين، ومنها الشهيد موسى غنيمات. وهذه المجموعة هي مَنْ أسرت الجندي الإسرائيلي شارون إدري Sharon Edri، وكان الشهيد أبو الفداء يبعث إليّ برسائل يستثني فيها البسمة، ويبتدئها بتحية حمراء من باب التمويه على أنها رسالة من الجبهة الشعبية في الخارج إلى قيادة الجبهة في السجن، وحتى لا تدل على أثر من القسام إن وقعت في يد العدو. وتبنت الجبهة الشعبية أعمال هذه المجموعة، وكثرت الاعتقالات في صفوفها، ظناً من الصهاينة أنهم من وراء ذلك، وتبين فيما بعد أن هذا النجاح، وهذه العمليات، كان من ورائها مجموعة صورييف القسامية. وبعث إليّ أبو الفداء برسالة فيها عتاب للأخ حسن سلامة، بعد اعتقاله ووصوله إلينا، ويلومه على تقصيره، على صعيد أمنه وتحركاته، ذكر فيها أنّ: حسن "فَعْفُوط". وجلست وحسن، وقلت له: "يا فَعْفُوط"، فرد عليّ حسن بوجهه الطلق، والذي تغلب عليه البسمة والبراءة، وقال لي: هذه الكلمة سمعتها!! ممن سمعتها يا حسن؟! قلت له: لا بأس عليك، ولكن اهدأ، فشغلك محروق، وإدارة السجن عينها عليك، ومديرها شكاً من تصرفاتك، وعند الإدارة مَنْ ينقل أخبارك، ونحن إخوانك ولا نريد لك العزل. نريدك أن تبقى بيننا، وتعهدت للمدير أن أحافظ عليك، بشرط أن تتوقف عن نقل المعلومات إلى مَنْ حولك، وما تقوم به أولاً بأول يصل إلى إدارة السجن. فوعد خيراً، ورجع إلى قسمه. ولكن هيهات أن يهدأ، ففي داخله بركان، إنه "فَعْفُوط"، ويريد أن يُعلم مَنْ في السجن على تصنيع المتفجرات، ولكن حسن عُزل بعدها.

<sup>4</sup> جمال عبد الفتاح الهور (1970-): ولد في قرية صورييف قضاء الخليل، متزوج وأب لولدين. أسس وعبد الرحمن غنيمات وأمين قمبيشة خلية قسامية خلال وجودهم في سجن الظاهرية. بعد خروجهم من السجن وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1995 بدأت الخلية عملياتها والتي استمرت إلى آذار/مارس 1997، عندما استشهد موسى غنيمات أحد أعضاء الخلية؛ حيث لاحق الصهاينة بالتعاون مع أجهزة السلطة الفلسطينية الخلية بعد أن تمكنت من قتل ثمانية صهاينة واختطاف جندي صهيوني، في 1996/9/9، وإخفائه إلى أن اكتشفت السلطة الفلسطينية أمره في نيسان/أبريل 1997 وسلمته للاحتلال بدون ثمن، وأتبعته بنسليم الهور وغنيمات إلى الاحتلال ليحكم عليه بالسجن خمسة مؤبدات و18 عاماً. انتخب الهور عضواً في الهيئة القيادية العليا لحركة حماس في سجون الاحتلال. له عدد من المؤلفات الأدبية لم تنشر بعد.

<sup>5</sup> رائد أبو حمدية (1975-): تعود أصوله لبلدة دورا قضاء الخليل، وكان يحمل هوية إسرائيلية ويعمل في تل أبيب، فتم تجنيده من قبل خلية صورييف ليسهم في عملية اختطاف جندي صهيوني. شارك في عدد من عمليات الخلية، وأبرزها اختطاف الجندي الصهيوني شارون إدري. اعتقل في 1997/4/3، وحكم بالسجن المؤبد.

<sup>6</sup> إبراهيم عبد الله غنيمات (1958-): ولد في قرية صورييف قضاء الخليل، انتمى لخلية صورييف القسامية، واعتقل على يد أجهزة الفلسطينية سنة 1997. بقي مطارداً للاحتلال إلى أن اعتقل يوم 2005/10/11.

ولما رحلتُ إلى نفحة بعد حين، وجدت له دفاتر، جمع فيها معلوماته عن صنع المتفجرات، وقلت له من قبل: يا حسن، هذا كله اليوم موجود، وسهل الحصول عليه في الخارج لمن يريد. ولكن يغفر الله لحسن، بقدر ما هو حريص على العمل، بقدر ما هو مكشوف في تصرفاته، ويستهن بأمنيَّاته. ولقد أضربنا سنة 1992 من أجل أن تنتهي حالة العزل، وأضرب إخواننا سنة 2000 في سجن هدريم من أجل أن تنتهي هذه الحالة. وخرج كل مَنْ في العزل، وما خرجوا إلا بعد أن تعهدنا لمصلحة السجون وللشبابك ألا يمارسوا نشاطاً أمنياً من داخل السجون، فقد ثبت لنا فشل هذه السياسة — قبل أن نتوصل لاتفاق مع مصلحة السجون والشبابك — فهي تجربة ثبت أن ضررها أكثر من نفعها. فبدلاً من تحرير الناس من الأسر وقع شبابنا في الأسر على خلفية هذا العمل، وفرضت علينا الملاحقة الأمنية من السلطة والاحتلال حالة يصعب العيش معها، وسبب لنا عجز الإمكانات الإجهاض في العمل.

وفي المقابل، كانت رسائلي إلى الشهيد أبي الفداء ترتب له لقاءات مع أناس جد من القدس، ومن الداخل الفلسطيني، كالشباب مؤاب جبارة<sup>7</sup>، الطالب في الجامعة العبرية، من مدينة الطيبة في المثلث. وكنت أستطفه بالله أن يحرق رسائلي بعد قراءتها والوصول إلى الغرض، حتى إن قائد التحقيق في المسكوبية قال لي بعد اعتقال سنة 1998، وقد سيطر على رسائل بعد استشهاد عادل وعماد عوض الله<sup>8</sup>، لم ينجح عادل في إتلافها ساعة المباغثة: لم نجد أثراً لرسائلك، كأنك لا تكتب، ولا تحب الكتابة،

<sup>7</sup> مؤاب غسان جبارة (...): من سكان بيت حنينا لعائلة تعود أصولها لبلدة طيبة المثلث، انتظم في صفوف كتائب القسام منذ سنة 1994 حيث شكل خلية ضمت محمد الترتير من سكان بلدة كفر عقب، لتكون حلقة وصل بين خلايا كتائب القسام، وكانت على تواصل مع محمد الضيف (أبو خالد) القائد العام لكتائب القسام، وبتوجيه من الشهيد عادل عوض الله أسست مجموعة لخطف جنود صهاينة قادهما مؤاب وضمت في عضويتها هاني الشريف، وشادي غلما، ومجدي الجعبري. اعتقلت المجموعة يوم 1997/11/25 بعد فشلها اختطاف أحد الصهاينة في القدس. أفرج عنه مؤخراً.

<sup>8</sup> عماد أحمد عوض الله (1969-1998): ولد في مدينة البيرة، والتحق في جامعة بيرزيت لكنه لم يكمل تعليمه فيها لاندلاع الانتفاضة وإغلاق الجامعات. متزوج وله أربعة من الأبناء. نشط مبكراً في صفوف جماعة الإخوان المسلمين ثم حركة حماس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. انضم لكتائب القسام، وعمل بصحبة شقيقه عادل والشهيد محيي الدين الشريف على إنجاز عدد من العمليات ضد الاحتلال الصهيوني. اعتقل في نيسان/أبريل 1998 من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية بعد مطاردة طويلة، حاولت السلطة إجباره على الاعتراف بالمسؤولية عن استشهاد محيي الدين الشريف، وخضع لتعذيب شديد تناوب عليه عدد من الأجهزة الأمنية. فر من سجنه في ظروف غامضة، واستشهد وشقيقه عادل في 1998/9/10، بعد اقتحام الاحتلال الصهيوني للمزرعة التي اختفى بها عادل بالقرب من الخليل.

فقلت له: هذا صحيح. وواصل الميجر حديثه قائلاً: شيخ، والله سيطرنا على هذه الأوراق من النار، أخرجناها من الحريق.

ورحم الله أمي، فلقد كانت هي الرسول، كما سماها الحبيب أبو الفداء "السفينة". وهي الرسول والناقل بين هذه المحطات جميعاً، وكانت تأتيني بالرسائل من الشهيد عادل، ومن الشهيد محيي الدين الشريف. ولو وددت أن أعرف أي البلاد تحتضنهما، فما كنت لأسألها، وما كانت هي لتفضي بسرهما أبداً، حتى ولو كان لولدها.

ولما اعتقلنا سنة 1998، وتبين للصهاينة حجم المعلومات عن العلاقة ما بين من في السجون وخارجها، جُنَّ جنونهم، وشددوا القبضة على السجون، واتخذوا إجراءات قاسية ضد المعتقلين والأسرى. ودخل الشاباك على صلاحيات مصلحة السجون، بل نشرت الصحف العبرية على لسان السلطات الأمنية الإسرائيلية أن حماس جعلت من سجن عسقلان مقراً لهيئة أركانها. فبعد اعتقالنا وما تكشفته عنه التحقيقات والرسائل المضبوطة، وردت أسماء هيئة الأركان، وهم: المجاهد موسى دودين، وماجد الجعبة، وهارون ناصر الدين، وزاهر جبرين، والقائد الفذ محمود عيسى، والمجاهد الصابر الذي ما نالوا من عزمته تيسير سليمان. رجعوا جميعاً إلى التحقيق وقاسوا الأمرين، ومرت عليهم أيام عجاف وليالٍ موجعة رضي الله عنهم جميعاً بل والله لا أنسى ما حييت، صراخ موسى دودين وهم يلهبونه بوسائلهم الخسيسة.

نعم، لقد كنت من خلال زيارة أهلي في سجن الخليل، أبعث بالرسائل إلى المجاهدين في الخارج... وإلى أولي الأمر في عمان، وكانت أمي رحمها الله، تغدو وتروح بحملها "من وإلى"، ولم يُكشَف أمرها. ولما تحقق الشاباك الإسرائيلي من نشاط السجون ودورها في العمل الجهادي، وأدرك خطورة ذلك على أمنه، اتَّبَعَ سياسة العزل من جديد ضد العناصر الفاعلة، ومحاولة الردع في الأحكام الجائرة.

### قبل اللقاء بعادل:

وقبل أن أغادر السجن بأيام قليلة، جاءني زائرٌ غير مرحب به، ثقیل الدم، ألا وهو قائد منطقة القدس في المخابرات الإسرائيلية، وقال لي: اسمع أيها الشيخ، عما قريب ستخرج من السجن، وجئتكَ محذراً، فعادل عوض الله ينتظرك، ونحن على يقين أنه في الطريق إليك، أو أنت في الطريق إليه، هو مطلوب لنا، ونحن نطارده، وإن جاءك فلن تردده،

ولن تقول له: لا؛ لأنك أنت من جندته للعمل العسكري. فقلت له: اسمع يا فلان، أنا عندي ما يشغلني عنك، وعن عادل عوض الله، لي أولاد حُرمتُ من تربيتهم، ولي بُنيات أطمع أن أعوضهن، ولو بقليل من العاطفة، وُلِدوا، وأكثرهم ما حظيت برؤيته عند الولادة، ونشأوا وترعرعوا، وحرمت عيني أن تلحظهم أيام طفولتهم، وذهابهم إلى مدارسهم. وإني بحاجة إلى متابعتهم، وهم بحاجة إلى عاطفتي، فاتركني وشأني، فأيامي عندكم شاهدة على حربي عليكم إلى يوم القيامة.

ثم إنه حاول ابتزازي متوعداً أنني في مرماه في اللحظة التي يريد بها، وأني محاصر بعيونه أينما حللت، فقلت له: إن ظفرت بي، فلا ترحمني!!، فهز برأسه مكابراً.

رجعت إلى غرفتي، وفيها موسى دودين، وهارون ناصر الدين، واجتمعت بهما دون غيرهما؛ لأنهما من خاصتي، فوضعتهما في صورة الحديث الذي دار بيني وبين رجل المخابرات. وقلت لهما: قبل أن يأتيني رجل المخابرات هذا، أعرف ما يدور في رؤوسهم، وأنهم على يقين أن عادل لن يتركني، فهو فعلاً في الطريق إلي. وقلت لهما: يا موسى ويا هارون، لن أفتح الخطوط مع أحد أياً كان، حتى ولو كان عادل رضي الله عنه لأنني أريد أن أنتقي من الفتیان، جيلاً جديداً في سنّ الثالثة عشرة من العمر، وأعمل على تربيته وإعداده لخمس سنوات قادمة، بعيداً عن كل الأعين، وهذا ما خططت له من قبل، وعلى هذا عزمنا... لأنني وعادل ورقتان محروقتان.

وفي يوم الأحد 1998/2/1 أبلغتني إدارة السجن بقرار الإفراج، فودعت الأسرى وودعوني ولسان حالهم يقول: لا ترجع بعد اليوم. فهم على عهد جديد بالعيد، فالصائمون من الأسرى احتفلوا يوم الخميس الذي سبق يوم الإفراج بعيد الفطر، وقد رحل عنهم رمضان بعد رحلة عامرة مع القرآن والصيام في النهار، والقيام في الليل، ومحطة زادها التقوى وزيتها القرآن. والأسرى في هذا اليوم يتفاعلون ويتزاورون فيما بينهم، وعلى الرغم من الفقر في الإمكانيات، لكن الأسرى بقدر ما هم فيه من الحرمان... بقدر ما يولد الحرمان عندهم، معاني الجود والكرم، وهم في ذلك يتسابقون.

خرجت من بوابة السجن، واستقبلني على البوابة الخارجية الحبيب الوفي (أبو مجاهد) أحمد عطون، والأخ زهير الشويكي، وقد ألت بي من قبل وعكة —على الأغلب هي الإنفلونزا—. وما إن سارت بي السيارة وقائدها أبو مجاهد، حتى أخذت أتنفس الهواء الطلق العليل، وكلما اقتربت من القدس، شعرت بالتحسن في صحتي،

حتى إذا استقبلتنا جبال القدس، وأخذت نفساً عميقاً من هوائها شعرت بالنشوة. آه، يا قدس... كيف هانت على هؤلاء الذين أسلموها وما دافعوا عنها حق الدفاع؟ استقبلتنا القدس، واستقبلنا أهلونا في القدس. والقدس على ميعاد مع أبنائها، يشعرون بدفئها، ويستروحون بظلالها. وكالعادة ما انقطع حبل الناس من المهنتين، من القدس وضواحيها، ومن الأهل داخل الخط الأخضر... من النقب الثائر، ومروراً باللد، والرملة، ويافا، ووادي عارة، حتى الناصرة والجليل، فجزى الله شعبنا خير الجزاء، فهم في تكافلهم هذا يعبرون عن أصالة في انتمائهم لقضيتهم الوطنية... وحتى من الناس من خاطر بنفسه، وتسلل إلى القدس عبر الجبال والوديان، مشياً على الأقدام، كوالد المجاهد موسى دودين، والأستاذ أحمد القيق شقيق أستاذنا المهندس حسن القيق، ووفد كبير جاؤوا من دورا وبيت عوا، ومن مدينة الخليل نفسها، فيهم وليد النتشة، وبهاء الزرو، ومن عرب التعامرة وما حولها... كل هؤلاء خاطروا وجاؤوا زائرين ومهنتين.

وبقيت في القدس شهرين لا أعادها... والدعوات عن طريق الهاتف لزيارة بيت لحم، والخليل، ورام الله، لم يلبها حرصي وحذري؛ لأنني على علم أن الشهيد محيي الدين الشريف موجود في رام الله، ومختبئ في بيت أختي أم المثنى زوجة الأخ المجاهد سلمان أبو عيد. وأما الشهيد عادل عوض الله، فإني لما التقيت الشيخ المجاهد جمال أبو الهيجاء قائد معركة جنين<sup>9</sup>، والذي سبقته يده اليسرى إلى الجنة في هذه الحرب، واستشهد فيها المجاهد نصر جرار، والذي أعذر إلى الله، وقد بُترت ساقاه ويده، ونحسبه طار إلى الجنة، على طريقة الصحابي الجليل جعفر الطيار رضي الله عنه قال لي الشيخ أبو الهيجاء: إن الشيخ عادل كان عنده في جنين قبل خروجي من السجن، وقال لي: اقترب خروج الشيخ من السجن، وإني ذاهب إلى جنوب الضفة لأستقبله. فكنت أقدر أنه في الخليل؛ لأن أُمِّي رحمها الله، كانت تتولى نقل الرسائل بيننا، وتلتقيه على الخصوص في بيت ساحور.

<sup>9</sup> جمال عبد السلام أبو الهيجاء (1959-): ولد في مخيم جنين لعائلة هجرت من قرية عين حوض سنة 1948. حصل على دبلوم تربية إسلامية من عمان، وعمل في التدريس في اليمن والسعودية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. شغل منصب مدير مراكز تحفيظ القرآن الكريم في محافظة جنين، وهو أحد قادة معركة الدفاع عن مخيم جنين سنة 2002 وبترت فيها يده. اعتقل يوم 2002/8/26 وحكم عليه بالسجن المؤبد تسع مرات. عضو الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة حماس.

بقيت على إقامتي في البيت، ولا أبرحه إلا للصلاة في المسجد، أو الذهاب للقدس للصلاة في المسجد الأقصى، حيث الصلاة أولاً، ولقاء الإخوان بعد الصلاة ثانياً... وهي سنة حافظنا عليها طويلاً.

## لقاء عادل:

مرّ شهران منذ الإفراج عني وأنا لا أبرح القدس، ثمّ قمت بزيارة إلى الخليل، بعد حديث مع الأخ المجاهد عبد الخالق النتشة رضي الله عنه وقال لي: إن الخليل تنتظرك، والناس يريدون أن يسلموا عليك، ولا يستطيعون الوصول إليك، وغداً نقيم مأدبة تكريماً لك في الجمعية الخيرية الإسلامية في دورا. وحاولت أن أعتذر، لكن دون جدوى، فذهبت بصحبة الحبيب أبي مجاهد عطون، واستقبلنا أهلنا وأحبابنا في الخليل، وذهبنا لتناول طعام الغداء في دورا، والتقينا مع مَنْ نحب، وفيهم الشيخ فتحي عمرو، والدكتور عزام سلهب، وأبو معاذ الأستاذ عادل شنيور، وأبو جبير عبد الخالق النتشة، وكثير من أهل دورا والخليل. ولما انتهينا من الطعام، وقد خيّم على هذا اللقاء روح الأخوة، وعندما استنفدت الزيارة غرّضها... رجعت إلى الخليل.

فرغنا من زيارتنا لبلدة دورا، وودعنا أحببنا ووجهتنا هي الخليل، على أمل العودة إلى القدس من يومي ذلك. لكن القائمين على الزيارة، قالوا: بل تنام عندنا الليلة، وفي الصباح نذهب إلى المستشفى الأهلي، ونجري لك فحوصات طبية، تطمئن فيها على صحتك، ولك محاضرة في مسجد الحرس بعد صلاة العصر، وقد عممنا على المساجد، وما بين المغرب والعشاء، حجزنا قاعة النسيم، حتى تلتقي من جاء للسلام عليك. قلت: ”يا الله، ما هذا الذي دُبر ليليل“؟ ثمّ توجهت إلى الأخ أبي مجاهد وقلت له: يا أبا مجاهد، انطلق إلى القدس، وغداً إن شاء الله، تأتيني مع صلاة الظهر. فانطلق رضي الله عنه وصليت العصر في مسجد الحرس، ووقفت بالناس محاضراً، وقد حضروا للموعظة والسلام على أخيهم الشيخ. وما بعد المغرب، ذهب بي الإخوة إلى القاعة المعدة للسلام واللقاء ورحب بي العريف، وتحدث الإخوة مرحبين، وقد حضرت الخليل وريقفها، وتكلم الأخ المجاهد محمد أبو جحيشة<sup>10</sup>، ورحب بي بكلمات طيبة. ثمّ بعد أن صافحت الناس

<sup>10</sup> محمد مطلق أبو جحيشة (1955-): حاصل على شهادة الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة النجاح الوطنية. عمل في سلك التعليم مدرساً ومشرفاً تربوياً، ويشغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. انتخب في الانتخابات التشريعية 2006 عن الخليل ضمن كتلة التغيير والإصلاح.

وصافحوني تحدثت إليهم بعاطفة الأخوة عن مدينة الخليل وأصالة أهلها وكرمهم. وبعد صلاة العشاء اصطحبني الشيخ المجاهد والقائد عبد الخالق النتشة إلى بيته، على نية المبيت. ولما اقتربت الساعة من العاشرة مساءً، وإذا بطارق يطرق علينا الباب، وإذا به أبو همام، الشيخ المجاهد ورجل الخليل المهيب محمد جمال النتشة، وبعد أن تصافحنا وأخذ بعضنا بعضاً بالأحضان... إذا به يقول: نريد الشيخ للمبيت عندنا، فحاول أبو جبير أن يثنيه عن طلبه... فأصر شيخنا على اصطحابي، مما أشعرتني أن الأمر مُبيت، وليس لي من الأمر شيء. فانطلق بنا في سيارته بعد أن ودعنا الشيخ أبا جبير، حتى وصلنا بيت الشيخ أبي همام، وما إن دخلت باب الصالون، وإذا بالمجاهد الحبيب أبي الفداء عادل عوض الله، واقف ينتظر قدومي، فأخذ أحداً أخاه بالأحضان، واغرورقت العيون بالدموع، وطال عناقنا. ثم جلسنا في غابة من القنابل والمسدسات، وطال الحديث بيننا عن خوالي الأيام، وعن الإعداد الذي تمّ، وعن استراتيجية العمل. وقلت هذا الأمر فيه خطورة، ولو أن المجموعات من شمالها لجنوبها أخذت طريقها إلى العمل، لأربكت العدو، وشئت تركيزه، فطمأنني على ذلك. والحديث ذو شجون، حتى وصلت به إلى ما قاله لي قائد القدس في المخابرات الإسرائيلية، في شأن اللقاء مع الأخ عادل، وقلت له: أنا في هذه المرحلة لا أنفك، وأنا مكشوف وأوراقى محروقة عند العدو. لكنه رضي الله عنه أصر إصراراً عجيبياً، فنزلت عند الحاحه. ودار الحديث عن إشكالية مع الشهيد محيي الدين الشريف، وعرفت من محيي أنه غاضب لدخول الشهيد موسى غنيمات إلى معركة التفخيخ؛ لأن الشهيد محيي لا يريد لهذه المجموعة أن تتورط في العمل الاستشهادي، وقد نجحت هذه المجموعة، مجموعة صوريف في أعمال اصطبياد جنود الصهاينة وقتلهم بجرأة نادرة. وطالب الشهيد محيي بلجنة تحقيق، تحاسب المسؤول عن توريث الشهيد موسى غنيمات في هذه العملية، وهو ربيّة القوم، ورجل الرصد الأول لهذه المجموعة. وبعد استشهاده فُتحت الأعين على صوريف ومجموعتها، وقال لي الشهيد عادل: إن محيي الدين عاتب علينا؛ لأنه يعاني من قلة المال، والعمل يحتاج إلى مصاريف باهظة. وبيّن لي الشهيد أبو الفداء أن الكل يعاني، والجميع مرّ بضائقة في هذا الأمر، ودفع بي إلى بعض الإخوة، للحصول على ما يسد الرمق. وكان أن ذهبنا إلى أحد المجاهدين، وزودني بثمانية عشر ألف دولار، تصرف بها الأخ أبو الفداء.

## مع الشهيد عمر سعادة:

انتهت زيارتي للخليل، وعدت إلى القدس على أمل اللقاء بالقائد الميداني للقسام، الشهيد عمر سعادة (أبو أحمد)، وبصحبته الشهيد القائد طه العروج (أبو مصعب) رضي الله عنهما وقليل أمثالهما. وحملنا أبو مجاهد رفيق الدرب بسيارته إلى بيت لحم، والتقىنا الأحباب هناك، وفي لقاء حاشد في إحدى القاعات، جاء شبابنا من بيت لحم وقرها ورحبوا بي وتحديث إليهم... وأن هذه هي الطريق، والابتلاء معلم أساسي من معلمه، ونحن على استعداد لتسديد الضريبة مهما كانت التكاليف. وبعد أن انفض اللقاء جمعنا بيت الشهيد القائد عمر سعادة، وفي المعية الشهيد طه العروج، وفي الطريق التقيت العالم الصابر الشيخ محمد الزعتري (أبو معن) رعاه الله. وأنسنا باللقاء مع المجاهدين، وتحديثنا عن لوازم المشروع. ورفعت جلستنا على أمل اللقاء إن شاء الله.

## رحلة محيي الدين إلى الشهادة:

كانت لي عودة ثانية إلى الخليل، ونمت هناك للقاء آخر مع الشهيد عادل عوض الله، كما حدثني أنه قال لزوجته أم الفداء: أنا ذاهب للقاء الشيخ، فاستحلفتها أم الفداء رضي الله عنها بالله ألا تتسبب للشيخ بـ "مصيبة" أخرى. وفي الصباح، حملني رسالة إلى الشهيد محيي الدين الشريف، وأتاني برسالة من أخيه الشهيد عماد عوض الله، عن زيارة قام بها عماد لمكان التصنيع الذي يعمل به الشهيد محيي. قرأت فيها أن محيي كان يخلع ملابسه إلا ما يستر العورة، لحساسية الاحتكاك بالمتفجرات، ويقول عماد: كنت أمشي وأنا خائف، من حبيبات من المفرقات، كانت تنفجر تحت نعلي. وفي الرسالة عن رحلة محيي يوم أن ضاقت به البلاد، وغادر بيت المجاهد عماد، وبنات عماد الصغيرات يمسكن بالشهيد محيي ويقلن له: عمو محيي، لا تتركنا. لكنه أصر خوفاً على أخيه عماد أن يكون الصيد ثميناً بكليهما في مكان واحد. فأثر الشهيد محيي أن يغادر ويترك الأبواب على بعض المشايخ ﴿إِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾<sup>11</sup>. والتمس للناس الأعداء؛ لأنها كانت مرحلة حرجة، واعتقالات السلطة الفلسطينية والتعذيب الذي تمارسه، أشد وأنكى من ممارسات الصهاينة. الصهاينة آذونا وأذاقونا الويل، لكن لم يحدث أن نتفوا لنا لحانا ولا حواجبنا، وعلى ذلك قس، كم كانت الوطأة شديدة على أبناء الحركة الإسلامية في عهد سلطة أوسلو!!

<sup>11</sup> القرآن الكريم، سورة النور، آية 28.

ترك محيي الدين بيت عماد، واحتضنه المجاهد عبد الله البكري، ومما قاله للأخ عبد الله إنه سيتوجه إما للشيخ جمال الطويل وإمّا للمجاهد سلمان أبو عيد. وذهب محيي الدين على وجهه يبحث عن سلمان أبو عيد، الذي يعمل على توسعة مسجد سيد قطب الكبير في البيرة، وسلمان مقاول بناء، وسأل أحد العمال عن سلمان، فنودي على سلمان، وحضر وإذا بالأخ محيي الدين، فاحتضنه والشهيد زهران شريكه في المقاولات... وذهبا به إلى بيت سلمان، وقال سلمان لزوجته أم المثني: اذهبي بزيارة لبيت أهلك لفترة أسبوع؛ لأن بيتهم لا يتسع للضيافة. وقد طورد سلمان بعد خروجه من السجن سنة 1994، ولجأ إلى رام الله أيام كان الاتفاق سارياً بين السلطة و"إسرائيل" ألا تدخل قواتها الأمنية مناطق أمن أراضي السلطة، فترك بيته في قرية بدو، وعانى من شظف العيش والإيجارات في رام الله، في بيت مطمور لا يرى الشمس.

بقي محيي الدين في بيت سلمان أسبوعاً، حتى استأجرا له بعد ذلك شقة ومخزناً للعمل الجهادي والتصنيع، وقام الإخوة الثلاثة سلمان وزهران وسليم، على خدمة محيي الدين وتوفير كل ما يلزمه. وقد سبق لـ(أبي المثني) سلمان أن التقى الشهيد محيي الدين في سجن الخليل يوم أن كنا هناك خلال سنتي 1993-1994، فالمعرفة قديمة، والأخوة متجذرة.

ومضى محيي الدين في جهاده، وذراعه سلمان أبو عيد والأخوان زهران وسليم، وينجح محيي الدين في توسيع دائرة عمله، ويقوم على تدريب الأخوين نسيم أبو الروس<sup>12</sup> وجاسر سمارو<sup>13</sup>، اللذين استشهدا مع المجاهد القسامي الشيخ يوسف السركجي<sup>14</sup>،

<sup>12</sup> نسيم شفيق أبو الروس (1974-2002): ولد في مدينة نابلس. تدرّب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على تصنيع المتفجرات. اعتقل من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية سنة 1997 لإسهامه في تصنيع متفجرات لعمليات "خلية شهداء من أجل الأسرى"، وأفرج عنه بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في عدد من عمليات كتائب القسام في منطقة نابلس، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارحة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

<sup>13</sup> جاسر أسعد سمارو (1974-2002): ولد في مدينة نابلس. اعتقل في سجون الاحتلال مدة ستة أعوام لنشاطه في كتائب القسام. تدرّب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على تصنيع المتفجرات، واعتقل من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية سنة 1997 لإسهامه في تصنيع متفجرات لعمليات "خلية شهداء من أجل الأسرى". أفرج عنه بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في عدد من عمليات كتائب القسام في منطقة نابلس، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارحة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

<sup>14</sup> يوسف خالد السركجي (1961-2002): ولد في مدينة نابلس، متزوج وله أربعة أولاد. نال شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وكان أحد المبعدين إلى مرج الزهور سنة 1992. أحد أبرز قادة كتائب القسام في شمال فلسطين، وأسهم في تشكيل خلية "شهداء من أجل الأسرى" والتي كان الهدف منها القيام بعمليات تسهم في أسر جنود صهيانية من أجل مبادلتهم بأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني. اعتقل لدوره هذا لدى أجهزة السلطة الفلسطينية من=

وكريم مفارحة<sup>15</sup>. فالشيخ يوسف تجمعنا به ساحة الجهاد، وكنت حلقة وصل بينه وبين الشهيد أبي الفداء، ونقلت إليه رسالة وهو في سجن جنيد رضي الله عنهم، ورحمهم، وهو فيما بيننا أبو تراب.

لقد كان سلمان وزهران وسليم هم المسؤولون عن أمن تلامذة المهندس الثاني من القدس، بمجموعاتها من القائد المجاهد أبو علي العباسي<sup>16</sup>، إلى المجاهدين الأخوين إيهاب بكيرات<sup>17</sup>، وإبراهيم بكيرات<sup>18</sup> من صور باهر، والمجاهدين الأخوين أشرف وربيع الزغل<sup>19</sup>، والمجاهد شعيب أبو سنيّة<sup>20</sup> من مجموعة المجاهد إبراهيم العباسي،

1997/9/23 ولغاية 2001/4/18. استشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارحة، وجاسر سمارو، يوم 2002/1/22.

<sup>15</sup> **كريم نمر مفارحة (1979-2002)**: ولد في قرية بيت لقسا قضاء رام الله، ودرس الشريعة في جامعة النجاح في نابلس. نشط في كتائب القسام وترأس خلية بروقين. اعتقلته السلطة الفلسطينية بعد استشهاد نبيل عبد الرحمن علي خاطر في أثناء إعادته لعبوة ناسفة مع المجاهد أسيد صلاح الذي بترت ساقيه. أطلق سراحه من سجون السلطة بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في الإعداد والتجهيز لعدد من عمليات كتائب القسام، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارحة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

<sup>16</sup> **إبراهيم محمد العباسي (1961-)**: أسير مقدسي من مواليد سلوان، متزوج وله أربعة أولاد. نشط في كتائب القسام وعمل مع الشهيد محيي الدين الشريف بتوجيه من القائد القسامي الأسير محمود عيسى. اعتقل في 1998/9/27 وحكم عليه بالسجن لمدة 18 عاماً.

<sup>17</sup> **إيهاب موسى بكيرات (1973-)**: أسير مقدسي من سكان قرية صور باهر، متزوج وله طفل. اعتقل لأكثر من مرة في سجن الاحتلال الصهيوني. نشط في كتائب القسام، تدرّب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على إعداد العبوات الناسفة، وأسهم في التخطيط لعدد من العمليات ضد الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1998/10/7، وحكم عليه بمدة 13 عاماً ونصف.

<sup>18</sup> **إبراهيم موسى بكيرات (1974-)**: أسير مقدسي من سكان قرية صور باهر، نشط في كتائب القسام بعد أن جنده شقيقه إيهاب للعمل معه ضمن مجموعات قادها الشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل مع شقيقه في تشرين الأول/أكتوبر 1998، وحكم عليه بالسجن تسعة أعوام. أعيد اعتقاله في 2008/3/9، وحكم عليه بالسجن 34 شهراً.

<sup>19</sup> **أشرف سلامة زغل (1977-)**: أسير مقدسي من مواليد بيت حنينا، يعمل مهندساً، جنده شقيقه ربيع للعمل في مجموعة قسامية تابعة للشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل في 1998/10/19، وحكم عليه بالسجن لمدة 16 عاماً بتهمة التحريض على تفجير قنبلية والسعي للتدريب وامتلاك وسائل قتالية.

**ربيع سلامة زغل (1975-)**: أسير مقدسي من مواليد بيت حنينا. نشط في صفوف كتائب القسام وتتلّمذ على يد الشهيد محيي الدين الشريف على إعداد عبوات ناسفة ذكية، وصناعة المتفجرات. في آب/أغسطس 1998، فجر عبوة ناسفة في تل أبيب، وفي مطلع أيلول/سبتمبر 1998، فجر عبوة أخرى مستهدفاً جنوداً في موقف للحافلات في القدس، وخطط لعمليات تفجير واختطاف جنود. اعتقل في 1998/9/10 وحكم عليه بالسجن لمدة 27 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

<sup>20</sup> **شعيب صالح أبو سنيّة (1967-)**: أسير مقدسي ولد في سلوان، وناشط في كتائب القسام. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني، وعمل مع الشهيد محيي الدين الشريف ضمن مجموعة الأسير إبراهيم العباسي. متزوج وله أربعة أطفال. اعتقل اعتقاله الأخير في 1998/10/28، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

هؤلاء جميعاً وغيرهم، سلمان أبو عيد هو المسؤول عن أمنهم. وسلمان والأخوان زهران وسليم، لحق بهم من الديون الشيء الكثير، لاحتياجات العمل مع المهندس محيي الدين من إيجارات وتنقلات ومصاريف، ورام الله في غلاء معيشتها، أكثر من القدس. وكما هو معروف عند أهل رام الله فلا وجود لدعم خارجي لهذا المشروع، في ظل هذا الحصار، وتأقلمت هذه المجموعة بعائلاتها على هذا الوضع، بل إن أم المثني زوجة سلمان طاب لها العيش مع هذا المزاج الساخن بين البنادق. وهي على دين أمها، رحمها الله.

## استشهاد المهندس الثاني:

حملني الشهيد عادل رسالة إلى الشهيد محيي الدين، وبينما أنا في ساحة المدرسة الخيرية الإسلامية في الخليل، وإذا بالأخبار تتطاير عن انفجار قوي، له دوي هائل في المنطقة الصناعية القريبة من رام الله، وذلك بتاريخ 1998/3/29، وتبين بعد حين، أن المهندس محيي الدين الشريف هو مَنْ قضى نحبه في هذا الانفجار. فطوبى لروحه في معراجها إلى علياء الخلود، لترتاح من وعتاء السفر، بعد مشوار طويل وحافل، وهو يطارد عدو الله وعدو هذه الأمة، وما مرَّ عليه يوم إلا وفيه عطاء. فرحم الله الشهيد محيي، فقد شرفني الله بمعرفته، وهو طالب في جامعة القدس، قبل الانتفاضة الأولى وبعدها، وجمعتنا السجون، وعلى الخصوص سجننا الخليل وعسقلان. والتقى الشيخ الشهيد صلاح شحادة في سجن عسقلان، وكان يطارده مازحاً من سرير إلى سرير في غرفة 9، وقد غلب عليه الضحك والقهقهة.

بعدما تأكد لي الخبر، رجعت إلى القدس بهمّ ثقيل، والأخبار من هنا وهناك تتسارع في نقل الحدث، والمصيبة كبيرة، وأي حركة محسوبة، فكأنك في حقل ألغام. وبينما أنا مع نفسي في البيت، وإذا بالأخ ماهر عودة، من عين بيرود، يطرق عليّ الباب، ويطلب مني على عجل، أن أنطلق إلى رام الله، وأفتح تحقيقاً في الذي جرى للشهيد محيي الدين. فتقبلت كلامه على مضض، إذ لم يسبق لي أن التقيته أو عرفته. ووعده خيراً، وأوضحت له أن السبيل إلى معرفة الحقيقة يحتاج إلى قرائن، وأن السلطة والاحتلال، هما المسؤولان عن هذه المصيبة، وعن مصائب الشعب الفلسطيني. وإلا فلماذا هذه الحرب على المجاهدين؟ ولصالح مَنْ تطارد أجهزة أمن السلطة الطليعة من أبناء هذا الشعب، وتتنافس أجهزة أمنها فيما بينها في ملاحقة المجاهدين، من محيي الدين الشريف إلى عادل عوض الله وبقية الإخوة؟ وكيف يقبلون على أنفسهم هذا التردّي، الذي وصلوا إليه في خدمة الأمن الصهيوني؟



إن الشهادة هي ما كان يطلبه ويتمناه القائد محيي، لكنه يريد ذلك في ساحات المرافعة مع عدوه، وليس في مواجهة مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وإنه حُق لنا أن ننتهم السلطة والاحتلال، في ارتكاب هذه الجريمة، ولا نبرئ أحداً من الطرفين، حتى ولو كان استشهاد محيي الدين عن طريق الخطأ، لأنني من خلال متابعتي للذي جرى، واستماعي إلى الدائرة التي تحيط بالشهيد محيي الدين، ترجح عندي أن الخطأ هو الغالب على استشهاده. وأن التعجل في توجيه أصابع الاتهام ضد أي طرف كان، حتى ولو كان عدوك، ليس من طبعنا، وأن المصادقية هي الأساس في سيرتنا، وعلى هذا تعززت ثقة الناس بنا.

هذا التعجل جاء رداً على استغلال السلطة للحادثة لتشويه صورة الشهيد عادل عوض الله وإخوانه في كتائب القسام<sup>21</sup>، فانطلقت أبواقها تردد كل يوم اتهام ورواية. فبعد اعتقالها للمجاهد غسان العداسي وتعذيبه<sup>22</sup>، أجبرته على القول بأن الشهيد عادل هو من قتل محيي، ثم تراجع فاتهمت الشهيد عماد بعد اعتقاله في سجونها، وعذبتة ليقبل التهمة لكنه أبى أن يؤتى إخوانه من قبله<sup>23</sup>. وبهذا لم تكتف السلطة بملاحقة الشهيد وإخوانه وتعذيبهم فحاولت تشويه جهادهم وصورتهم أمام أهلهم.

وكان الشهيد محيي الدين في ليلةٍ سبقت استشهاد التقي المجاهد إبراهيم العباسي — فرج الله كربه — التقاه لقاء تخطيط وعمل، ومن وراء هذا اللقاء المجاهد محمود عيسى من داخل السجن. وكان على المجاهد شعيب أبو سنيينة أن يقود سيارة أُعدت لعملية استشهادية، لكن أجهزة أمن السلطة، اعتقلت شعيباً لأيام، وحالت دون نجاح العملية، وشعيب من مجموعة القائد أبي علي العباسي. فكل هذا الحراك من الشمال والجنوب والوسط يقوم على أمنه دائرة ضيقة محيطة بالشهيد محيي الدين،

<sup>21</sup> انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (4)، ص 497، مقتطفات من فيديو للشهيد عادل عوض الله يرد فيه على اتهام أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية له بمسؤوليته عن استشهاد محيي الدين الشريف، نيسان/ أبريل 1998. [المحرر]

<sup>22</sup> انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (5)، ص 500، مقتطفات من رسالة المعتقل في سجون السلطة الفلسطينية غسان العداسي، الذي أجبرته السلطة على الاعتراف بأن عادل عوض الله هو من قتل محيي الدين الشريف، 1998/4/12. [المحرر]

<sup>23</sup> انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (6)، ص 501، مقتطفات من رسالة الشهيد عماد عوض الله "إلى إخوانه وشعبه وأمتة" بعد هروبه من سجون السلطة الفلسطينية، يتحدث فيها عن ظروف اعتقاله وتعذيبه من أجل الاعتراف بأنه هو من قتل محيي الدين الشريف، 1998/8/18. [المحرر]

ومحيي لديه حسّ أمني مرهف، وهو حريصٌ على ذلك. كما أن المجاهد سلمان أبو عيد هو المسؤول عن تنقلاته، وهو مَنْ كان يتولى أمره لأكثر من ثلاثة أشهر، فهل تقبل "إسرائيل" على أمنها أن يضرب، وأن يعاني شعبها من التفجيرات؟

هذه هي رحلة الشهيد محيي الدين، وقد أتعب العدو في طلبه، واسمع إلى المجاهد رشدي العلمي، وهو من العاملين ومن المقربين للشهيد محيي الدين، يقول في سياق حديث مع المحقق، والمحقق منتفخ الأوداج، وهو يتباهى بنجاحاته الأمنية؛ يقول له رشدي: "أين هو أمنك؟ ومحيي الدين الشريف يصول ويجول في اللطرون" والصحيح أن أخطاءنا هي القاتلة في العمل، ولقد حققنا نجاحات بإمكانيات متواضعة، ولو أن إمكانيات حزب الله عندنا، لسبقنا السابقين، وتفوقنا على المتفوقين بامتياز، ولكن هذا هو جهد المُقل.

## عودة إلى بيت لحم:

في زيارة ثانية للأخ المجاهد عمر سعادة، وضمن المشروع الجهادي الذي يحارب على جبهتين، فإن رجالنا لا يسكتون على ضيم، ولا يقبلون إلا في جنة عرضها السماوات والأرض. وعلى هذا فالمجاهدون من يوم إلى يوم، في أمس الحاجة إلى معدات قتالية، لضرب هذا العدو وقطعانه من المستوطنين. ولقد عملتُ على هذا يوم أن كنت في صفوف الثورة الفلسطينية، واليوم لا يقل طلبي عما مضى. فقد ذكر لي الأخ أبو أحمد سعادة، عن حاجتنا لكمية من السلاح هي في سوق البيع والتجارة، وفيها مجموعة كلاشينات وقاذف آر بي جي RPG، مع عشر قذائف، ومأمونة الجانب، نجح المهربون أن يجتازوا بها الحدود مع الأردن، عن طريق البحر الميت.

الصفقة مغرية، لكن شحّ المال هو الذي حال دونها، وحاجتنا ملحة إلى قطعة من طراز أم 16 أو M16، أو أيّ رشاش آخر، فذهبت إلى المجاهد سلمان أبو عيد، وطلبت منه أن يزودنا بقطعة اشتراها من المجاهد ناصر الوحيدي، لا تشوبها شائبة بعد الفحص. وطلبت من الوالدة رحمها الله، أن تتولى نقلها من رام الله إلى أم طوبا، ومكثت عند الوالدة في مخزنها لأيام. ثم طلبت منها أن تنقلها ثانية إلى الخليل، فقامت على ذلك، وركبت وإياها السيارة مع أبي مجاهد، وكان ولدنا محمود صغيراً، وأراد أن يصحبنا فنهرته. فقالت الوالدة: اتركة يأتي معنا، لعل الله يدفع به البلاء. فسرنا في الطريق إلى الخليل وأنا ألتفت إلى أمي، وأسأل نفسي أين المعلوم؟ حتى غلب على ظني أنها لم تأت بشيء.

ولما وصلنا إلى بيت صاحبنا، وأنظر إليها متسائلاً أين حاجتنا؟ وهي تقول لي: امش، فصحبته، واستأذنت من صاحب البيت، وبقيت وإياها وحدنا، وخلعت عنها ثوبها، وإذا هي متحزمة بقطعة السلاح من نوع ميني عوزي Mini-Uzi، فاستلمها صاحب الشأن.

بعد ذلك قصدت رام الله للقاء المجاهد إبراهيم مرعي<sup>24</sup>، وهو المعروف إعلامياً بإبراهيم حامد من سلواد، ومعرفتنا به من أيام دراسته في الجامعة، وانتظم معنا في العمل عن طريق الشهيد عادل. ولقد نجح الرجل على صعيد أمنه فيما بعد، وعلى صعيد العمل العسكري، والرجل ما تأخر في شيء طلبناه منه، فعلى رغبة من الشهيد عادل التقيته في البيرة، ضمن ترتيبات أعمالنا، ومضى على الدرب، ولا يعرف إلا العطاء، وأسأل الله أن يفرج كربته ويعجل له بالفرج. وفي تقرير ذكرته إحدى الصحف العبرية عن المجاهد إبراهيم أنه رجل يشبه الخيال، وهو ينظر للصراع على أنه صراع طويل جداً. ومن الطبيعي جداً عنده أن يأتي الرد على اغتيال الشهيد عادل عوض الله وأخيه عماد، بعد فترة طويلة؛ لأنه لا يتعامل بردود الأفعال.

### مقابلة مع قائد ونطقة القدس في الشباك:

بعد هذا الحراك الذي عقب الإفراج، والذي هو في ظاهره مكشوف، ولكنه في حقيقة الأمر كالماء في الشجرة، يراها الناس على ظاهرها، شجرة مورقة بأغصان متشابكة، والفعل فعل الماء الذي لا تراه العين، وهو في كل جزء من أجزاء هذه الشجرة، فبقدر ما هو مستور، بقدر ما هو فاعل، وهذا حراكنا مع تحديات هذا الصراع.

وبتبليغ من المخابرات الإسرائيلية استدعاني قائد المنطقة لمقره في شرطة رأس العامود، فذهبت إلى هناك، ودار الحديث بيني وبينه، وهو من زارني في السجن، يقول لي استعداد

<sup>24</sup> إبراهيم جميل مرعي "حامد" (1965-): ولد في قرية سلواد قرب رام الله، حاصل على بكالوريوس العلوم السياسية من جامعة بيرزيت وطالب دراسات عليا فيها. عمل باحثاً في مركز أبحاث جامعة بيرزيت وعدد من المؤسسات الأخرى. متزوج وله طفلان. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه في حركة حماس، وطورد للاحتلال واعتقلته السلطة الفلسطينية سنة 1998 لنشاطه في كتائب القسام بصحبة الشهيد عادل عوض الله. خرج من السجن مع اندلاع انتفاضة الأقصى وأسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام في منطقة رام الله. ترأس عدد من المجموعات العسكرية التي أُنشئت في العدو الصهيوني. اعتقل في مدينة البيرة يوم 2006/5/22 بعد رحلة مطاردة واستهداف طويلة، ينتظر أن يكون أعلى صاحب حكم في تاريخ الاحتلال الصهيوني لمسؤوليته عن عشرات العمليات.

لسته أشهر إداري، فنشاطاتك زائده عن حدها. تذهب للخليل وتحاضر في جامعتها، ”هي الأمور فالتة في ظنك“، وتظن أنك حرٌّ في الذهاب إلى هنا وهناك... نحن لك في كل حركة، ولا تحسب أنك حرٌّ، قالها مرة أخرى. فقلت له: يا هذا، اسمعها مني جيداً، والله —وأمامي على الطاولة قارورة ماء— لو وضعتني في هذه القارورة وأغلقت عليّ بغطائها، فأنا حرٌّ أكثر منك، فبهت وتراجع عن حديثه. وقضي الأمر، ولم يكن ذلك إلا مرةً تبعثها مرات.

### عايد دودين والنرشيف:

كان من الذين يترددون على بيتي، المجاهد عايد دودين، وهو شقيق موسى دودين، كانت زيارته تحمل في طياتها رسائل وأوراقاً، لها خصوصيتها في عملنا الجهادي. كان يأتيني بها ثم يعود أدراجه إلى حين لقاء آخر، لأتمكن من قراءتها ومراجعتها، وأعلق على ما هو محتاج للتعليق، وكان أخطر ما في هذه الأوراق، الأسماء الحركية للعاملين في حقل مشروعنا.

وبعد أن أقضي غرضي منها، يعود إليّ الأخ عايد وفي صحبته أحياناً المجاهد موسى العوادة، ثم يعود بالأوراق إلى من يعنيه الأمر. ولما اعتقلت بعد استشهاد عادل عوض الله، كنت أقول: لا يمكن أن أوتى من قبل عادل أبداً، ولكنني هذه المرة أوتيت من قبل أوراقه، بعد استشهاد؛ لأن العدو لم يعلن عن استشهاده بعد. فلما اعتقلت بعد عشرة أيام من تاريخ الحدث، واجهوني في التحقيق ببعض هذه الأوراق، التي وقعت بين أيديهم. ومع المباغثة وسرعة المفاجأة، حاول المجاهد عادل أن يحرق الأوراق، لكن العدو كان أسرع إليها من النار أن تأكلها، فقد قال لي قائد التحقيق، وهو يقسم بشرفه (إن كان له شرف)، إنهم انتزعوها من برائن النار، والأوراق هي نفسها التي كان يأتيني بها المجاهد عايد دودين لأطلع عليها، والذي أطلعوني عليه، إنما كان حسب الخطة والمصلحة التي تخدمهم، وحسبما يريدون.

لقد أتت الأمور على ضربة موجعة، وجمعت في الاعتقالات بين الشمال والوسط والجنوب... وأتت بالإحباط على نجاح العمل العسكري، ولو إلى حين، حتى قال لي ميجر في التحقيق: لن تقوم لكم قائمة قبل أربع سنوات. وما علم هذا الميجر أن هذه الأمة ولود، وأن هذا الشعب معطاء. وإن هي إلا سنتان، وإذا بالانتفاضة الثانية تهزأ بما مكروا

ودبروا له، وتجعله حصيداً كأن لم يُغَنَ بالأمس، وإذا بحماس بعد هذه الضربات، تخرج عليهم أقوى مما كانت عليه من قبل، وتأتيهم من حيث لم يحتسبوا، وتزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وتأخذ بالشعب الفلسطيني وجميع فصائله، إلى مشروع المقاومة، ويطيح سهم الاحتلال.

يقول أليكس فيشمان Alex Fishman، المحلل العسكري ليديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth، عقب اغتيال الشيخ أحمد ياسين: ”إن حركة حماس كالكائن الخرافي، إذا قُطِعَ رأسُهُ، نمت له ثلاثة رؤوس“. ويقول شأوول موفاز، والذي كان رئيساً لهيئة الأركان، ثم وزيراً للحرب: ”حسابنا مع حماس مؤلم، وهي تختلف عن كل الحركات“.

### اعتقال عماد واستشهاده وعادل:

كانت أجهزة السلطة الفلسطينية قد شنت حملة اعتقالات واسعة ضدّ المجاهدين من أبناء حماس، خصوصاً بعدما استشهد المهندس الثاني محيي الدين الشريف، وذلك لأسباب عدة منها التعاون مع المشروع الصهيوني، وأن تبرّئ نفسها من دم الشهيد محيي الدين، من خلال التحقيقات التي هدفها الضغط على المجاهدين، حتى يُقوِّلُوهم ما ليس بحق، ويدينوهم بما لم يفعلوه، ويحملوهم دم محيي الدين زوراً وبهتاناً، لخلاف في وجهات النظر وقع بين عادل عوض الله ومحيي الدين الشريف. وكان من الذين اعتقلوا وعذبوا وأوذوا حتى تعرضوا للهلاك المجاهد عماد عوض الله، والمجاهد غسان العداسي وربيع الشيخ قاسم. وكان من المباشرين على هذه الإجراءات ضدّ المجاهدين أمين عام الرئاسة الفلسطينية الطيب عبد الرحيم، وقادة الأمن الوقائي جبريل الرجوب ومن دونه، كل هذا حتى يخرجوا على الرأي العام والإعلام بتخریجة كاذبة خاطئة.

لقد فشلت السلطة وأجهزتها في الإيقاع بين المجاهدين، واستطاع المجاهد عماد فيما بعد أن يهرب من سجن الوقائي في أريحا، ويصل إلى رام الله. وما قيل عن عماد إنه لما تعرض للهلاك، ونقل إلى المستشفى للعلاج، زرعوا فيه ما يراقب تحركاته حتى يصلوا إلى المجاهد عادل عوض الله. وهذا مما لا علم لي به، وما عند أحد من يثبت ذلك.

بعد أن وصل المجاهد عماد إلى رام الله، وعلى عجل تمّ ترحيله إلى الخليل. ليغادرها من بعد ذلك إلى الخارج، بعد لقاء وداع مع شقيقه عادل عوض الله في ليلة جمعة 1998/9/10.

التقى الأخوان في عزبة لعائلة مسوودي من الخليل، وما أصبح الناس، إلا على خبر مفاده استشهاده القائدين والأخوين، عماد وعادل عوض الله، وأعلن عن الخليل منطقة عسكرية مغلقة من قوات الاحتلال.

كان لي في هذا اليوم من بعد صلاة الجمعة دعوة لحضور عقد قران لأخ من إخواننا المجاهدين، هو كمال أبو قويدر، وفي المساء موعد للقاء المجاهد عادل عوض الله. وعند سماعي الخبر توقف كل شيء، وبدأت عملية جرد للحسابات لم تتوقف حتى باعتقالي بعد عشرة أيام.

غاب عادل وغاب عماد عن مسرح الأحداث، وشاع بين الناس أنهما استشهدا، ولكن حتى الآن لم يسلم الاحتلال جسديهما الطاهرين، وسمعت من أحد الإخوة الذين تعرضوا للتحقيق عند الاحتلال، وفي السياق قال له المحقق: ”نحن لم نعلن عن استشهادهما، بل أنتم من أعلن“، ولربما هما في سجون الاحتلال السرية، والله أعلم<sup>25</sup>.

لقد عمل الشهيد عادل عوض الله طويلاً في السجون والمعتقلات على اختيار العناصر التي يمكن الاعتماد عليها، وذات الاستعداد والجاهزية لتحمل أعباء المرحلة، وحمل الهم الفلسطيني، والبقاء في الميدان شوكة في حلق الاحتلال. ولقد عمل ضمن خط استراتيجي على تسليح جيش كامل من الشمال إلى الجنوب، من جنين حتى يطا جنوب الخليل، وطارد العدو بما لديه من إمكانيات، وعمل على التصنيع من خلال شهداء أدوا ما عليهم، من أمثال الشهيد محيي الدين الشريف في رام الله، وعيسى شوكة في بيت لحم<sup>26</sup>. ولقد نجح في حركته وتنقلاته، متخفياً عن العدو وعيونه، وعن السلطة الفلسطينية وأجهزتها. ولقد أحاط نفسه برجال، قاموا على خدمة مشروع المقاومة، وشكلوا له غطاءً لجميع تحركاته، وظهر في كثير من الأماكن، على أنه رجل أعمال، وبقدرته على التمويه، ورغم عيون الاحتلال وحواجزه، التي كانت على طول الضفة الغربية. وهو المطلوب لقوات الاحتلال، إلا أنه تنقل بينها، وتخطاها حاجزاً حاجزاً، وهناك في معظم مدن الضفة من شكل له حمايةً بصورٍ مختلفة، وتحت عناوين متباينة، فمرة في لباس شرطة فلسطينية،

<sup>25</sup> سلم جثمان الشهيدين وشيعا في مدينة البيرة في 2014/4/30. [المحرر].

<sup>26</sup> عيسى خليل شوكة (1956-1997): ولد في مدينة بيت لحم، كان متزوجاً وله ثلاثة أطفال، ودرس كهرباء السيارات. اعتقل في سجون الاحتلال بدءاً من سنة 1979. انتظم في صفوف كتائب القسام وعمل كخبير متفجرات في المجموعات التي كان على رأسها الشهيد عادل عوض الله. استشهد إثر انفجار عبوة ناسفة كان يقوم على تصنيعها في 1997/7/14.

مع بطاقة زوّده بها أحد الإخوة العاملين في جهاز الشرطة، ومرةً بباروكة، كل ذلك يسرّ له الحركة والحماية.

لقد كانت لديه اهتمامات كبيرة، واستعدادات كثيرة، والإصرار طبعاً من طباعه، كان همّه أن يوجع الاحتلال، من خلال خطف جنوده — وهي استراتيجية العمل عندنا — حتى نُخرج إخواننا الأسرى من سجون الاحتلال، بل كان على إيمان عميق بالعمل الجهادي، والعمليات الاستشهادية، حتى لا يقرّ الاحتلال في عيشه، وحتى يبقى مرعوباً. كان يعمل من خلال هذا كله، على تنظيم حديدي، من خلال رجال عركتهم الحياة، ولهم تجربة في مقارعة العدو، وبأسهم عليه شديد، ولا يزالون حتى هذه اللحظة، مغممين بحيوية الجهاد، يُتعبون ولا يتعبون، ويشكلون هاجساً مرعباً للاحتلال، ووجعاً هيئات أن يبرأ منه.

كان من الذين جندهم الشهيد عادل، في البدايات من عملنا، الشهيد جهاد سمحان، من قرية اسمها رأس كركر، إلى الغرب من رام الله. وهو من صفوف حركة فتح، وقد بقي جندياً مجهولاً، حتى لحق بربه شهيداً، جندياً في كتائب عز الدين القسام، والكل يعلم أنه من حركة فتح، وضابط في الأمن الوقائي.

رحم الله أبا الفداء، فإنه ما من مدينة من مدن الضفة الغربية، وحتى الكثير من قراها، إلا وكان حاضراً في تنظيمه وتخطيطه، وكان له على ذلك بصمات لا تُنسى، ولا ينساها أحدٌ من إخوانه. وكلما ذكر بين معارفه، ترى في وجوههم لسان الحال يقول: آه لبيته كان معنا، فكم من المجالس كان حاضراً فيها؟ ولا غرابة أن ينظم الابن البار وليد خالد<sup>27</sup> بهذا القائد القصائد والمدايح، وهو من الذين أخذوا الحب والإعجاب بشخصه، وسلوكه. ولقد علقت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية على خبر استشهادها فقالت على لسان أحد قادة العدو: هذا الرجل لا يصلح إلا أن يكون مهندساً في غرفة عمليات عسكرية.

رحمك الله يا أبا الفداء، ورحم الله جميع إخواننا.

<sup>27</sup> وليد خالد حرب (1971-) : ولد في قرية سكاكا جنوب نابلس. التحق في كلية الهندسة بجامعة النجاح. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس وجناحها العسكري، وقضى في السجون أكثر من 15 عاماً. قيادي بارز لأسرى حركة حماس في السجون، وله عدد من المؤلفات الأدبية والدراسات، أبرزها: عكس التيار سباحة لا بد منها، ومحاكمة شهيد.

# Sidi 'Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

## هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجناء. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1



9 789953 500621



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | فاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

